**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : اسلام الأنصار وبيعتا العقبة الأولى والثانية والهجرة إلى المدينة**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الخامس**

**الطواف على القبائل طلباً للنصرة :**

بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف ، بدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم , يشرح لهم الإسلام ، ويطلب منهم الإيواء والنصرة ، حتى يبلغ كلام الله عز وجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرك في المواسم التجارية , ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل , وفق خطة سياسية دعوية واضحة المعالم , ومحددة الأهداف ، وكان يصاحبه أبو بكر الصديق , الرجل الذي تخصص في معرفة أنساب العرب وتاريخها ، وكانا يقصدان «غرر الناس ووجوه القبائل ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يسأل وجوه القبائل ويقول لهم: كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة فيكم؟ وكيف الحرب فيكم؟ وذلك قبل أن يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرض دعوته» .

ذكر المقريزي قوله: «ثم عرض صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل أيام الموسم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وهم بنو عامر، وغسان ، وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم ، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع» ، ويقال إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكندة فدعاها إلى الإسلام , ثم أتى كلباً ثم بني حنيفة ثم بني عامر، وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني , حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ هذا وأبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب .

ولم يقتصر الأذى على ذلك بل واجه الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو أشد وأقسى ، فقد روى البخاري في تاريخه والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب أيضاً عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبه ، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بِعُسٍّ من ماء فغسل وجهه ويديه ، وقال: «يا بنية لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة» فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جارية وضيئة ، وقد كان أبو جهل , وأبو لهب , لعنهما الله يتناوبان على أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يدعو في الأسواق والمواسم ، وكان يجد منهما عنتًا كبيراً ، فضلاً عن ما يلحقه من المدعوين أنفسهم ، ومن أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على مكائد أبي جهل والمشركين أثناء الطواف على القبائل :

**1- مقابلة القبائل في الليل :**

فكان صلى الله عليه وسلم من حكمته العالية يخرج لمقابلة القبائل في ظلام الليل ، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من المشركين ، وقد نجح هذا العمل في إبطال مفعول الدعاية المضادة ، التي كانت تتبعها قريش ، كلما اتصل الرسول صلى الله عليه وسلم بقبيلة من القبائل ، والدليل على نجاح هذا الأسلوب المضاد اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالأوس والخزرج ليلاً ، ومن ثم كانت العقبة الأولى والثانية ليلاً .

**2- ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القبائل في منازلهم :**

فقد أتى كلباً وبني حنيفة ، وبني عامر في منازلهم وبذلك يحاول أن يبتعد عن مطاردة قريش ، فستطيع أن يتفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة دونما تشويش أو تشويه من قريش .

**3- اصطحاب الأعوان :**

كان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يرافقان الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض مفاوضاته مع بعض القبائل ، وربما كانت هذه الرفقة لأجل ألا يظن المدعوون أنه وحيد ، ولا أعوان له من أشراف قومه وأقاربه ، هذا إلى جانب معرفة أبي بكر - رضي الله عنه - بأنساب العرب الأمر الذي يساعد الرسول صلى الله عليه وسلم في التعرف على معادن القبائل ، فيقع الاختيار على أفضلها ، لتحمل تبعات الدعوة .

**4- التأكد من حماية القبيلة :**

ومن الجوانب الأمنية المهمة ، سؤاله صلى الله عليه وسلم عن المنعة والقوة لدى القبائل , قبل أن يوجه إليهم الدعوة ، ويطلب منهم الحماية فقوة ومنعة القبيلة التي تحمي الدعوة شيء ضروري ومهم لا بد منه ، لأن هذه القبيلة ستواجه كل قوى الشر والباطل ، فلا بد أن تكون أهلاً لهذا الدور من حيث الاستعداد المعنوي والمادي ، الذي يرهب الأعداء ، ويحمي حمى الدعوة ، ويتحمل تبعات نشرها ، مزيلاً لكل العقبات التي تقف في طريقها .

**بدء إسلام الأنصار:**

كانت البداية المثمرة مع وفد من الخزرج في موسم الحج , عند عقبة منى ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنتم؟» . قالوا: نفر من الخزرج ، قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم . قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض: يا قوم: تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا ، وكانوا ستة نفر: وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث من بني النجار، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب ، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم , ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا بينهم فلم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المقابلة التي حدثت عند العقبة , وتلاقى فيها فريق من الخزرج بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا على يديه لم تكن فيها بيعة ؛ لأنها كانت من نفر صغير لا يرون لأنفسهم الحق في أن يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع إلى قبائلهم في المدينة , ولكنهم أخلصوا في تبليغ رسالة الإسلام .

**بيعة العقبة الأولى :**

بعد عام من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل يثرب عند العقبة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه صلى الله عليه وسلم بالعقبة , وبايعوه بيعة العقبة الأولى (عشرة من الخزرج واثنان من الأوس) ، مما يشير إلى نشاط وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي ، تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى , لكنهم تمكنوا في نفس الوقت من اجتذاب رجال الأوس ، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام .

وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي عن البيعة في العقبة الأولى ، فقال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تُفترض علينا الحرب: على ألا نشرك بالله ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا , ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل , إن شاء غفر وإن شاء عذب» .

وبنود هذه البيعة هي التي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم عليها النساء فيما بعد ولذلك عرفت باسم بيعة النساء ، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم مع المبايعين مصعب بن عمير, يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فكان يسمى بالمدينة (المقرئ) ، وكان يؤمهم في الصلاة ، وقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم بشخصيته من جهة ، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى ، حيث كان - رضي الله عنه - بجانب حفظه لما نزل من القرآن ، يملك من اللباقة والهدوء ، وحسن الخلق والحكمة ، قدراً كبيراً ، فضلاً عن قوة إيمانه , وشدة حماسه للدين ، ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة ، وأن يكسب للإسلام أنصاراً من كبار زعمائها , كسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهم .

لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - في شرح تعاليم الدين الجديد ، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره , وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية ، وبين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الأمينة لانطلاق الدعوة .

وقد نزل مصعب بن عمير - رضي الله عنه - في يثرب على أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله يقود تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب - رضي الله عنه - ، وقد انتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا الذي تعلمه من أمامه صلى الله عليه وسلم ، وقد شرح لنا بعض الآيات القرآنية المكية بصورة عملية حية قال تعالى: (ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل:125] .

**بيعة العقبة الثانية :**

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: [ .. فقلنا ، حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف ، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين , حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله , لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة» . قال: فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو من أصغرهم ، فقال: رويدًا يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتلُ خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبينة , فبينوا ذلك , فهو أعذر لكم عند الله قالوا: أمط عنا يا أسعد ، فو الله لا ندع هذه البيعة أبداً ، ولا نسليها أبداً , قال: فقمنا إليه فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة] .

وهكذا بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة والنصرة والحرب ؛ لذلك سماها عبادة بن الصامت بيعة الحرب ، أما رواية الصحابي كعب بن مالك الأنصاري ، وهو أحد المبايعين في العقبة الثانية ، ففيها تفاصيل مهمة قال: «خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا .. ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ... وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا ، نُسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه , إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه , ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب: فبين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم ، ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة ؛ ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه فطلب الأنصار أن يتكلم رسول الله ، فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط ، قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم ، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرًا عن كابر، فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسائلاً: يا رسول الله ، إن بيننا وبين القوم حبالاً ، وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيتم إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم , وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم» . ثم قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم» ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم الانصراف إلى رحالهم ، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذراً قريشاً ، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم» فرجعوا إلى رحالهم .

**الهجرة إلى المدينة**

**التمهيد والإعداد لها :**

إن الهجرة إلى المدينة سبقها تمهيد وإعداد وتخطيط من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك بتقدير الله تعالى وتدبيره ، وكان هذا الإعداد في اتجاهين ، إعداد في شخصية المهاجرين ، وإعداد في المكان المهاجر إليه .

**1- إعداد المهاجرين :**

لم تكن الهجرة نزهة أو رحلة يروح فيها الإنسان عن نفسه ، ولكنها مغادرة الأرض والأهل ، ووشائج القربى ، وصلات الصداقة والمودة ، وأسباب الرزق ، والتخلي عن كل ذلك من أجل العقيدة ، ولهذا احتاجت إلى جهد كبير حتى وصل المهاجرون إلى قناعة كاملة بهذه الهجرة .

تناول القرآن المكي التنويه بالهجرة ، ولفت النظر إلى أن أرض الله واسعة ، قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: 10] ، ثم تلا ذلك نزول سورة الكهف ، وتحدثت عن الفتية الذين آمنوا بربهم وعن هجرتهم من بلدهم إلى الكهف ، وهكذا استقرت صورة من صور الإيمان في نفوس الصحابة وهي ترك أهلها ووطنها من أجل عقيدتها ، ثم تلا ذلك آيات صريحة تتحدث عن الهجرة في سورة النحل ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: 41،42] ، وفي أواخر السورة يؤكد المعنى مرة أخرى بقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النحل: 110] ، وكانت الهجرة إلى الحبشة تدريباً عملياًّ على ترك الأهل والوطن .

**2- الإعداد في يثرب :**

لم يسارع الرسول صلى الله عليه وسلم بالانتقال إلى الأنصار من الأيام الأولى ، وإنما أخر ذلك لأكثر من عامين، حتى تأكد من وجود القاعدة الواسعة نسبيّاً ، كما كان في الوقت نفسه يتم إعدادها في أجواء القرآن الكريم ، وخاصة بعد انتقال مصعب إلى المدينة .

وقد تأكد أن الاستعداد لدى الأنصار قد بلغ كماله ، وذلك بطلبهم هجرة الرسول الكريم إليهم ، كما كانت المناقشات التي جرت في بيعة العقبة الثانية ، تؤكد الحرص الشديد من الأنصار على تأكيد البيعة ، والاستيثاق للنبي صلى الله عليه وسلم بأقوى المواثيق على أنفسهم ، وكان في رغبتهم أن يميلوا على أهل منى ، ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيافهم لو أذن الرسول الكريم بذلك ، ولكنه قال لهم: «لم أؤمر بذلك» ، وهكذا تم الإعداد لأهل يثرب ليكونوا قادرين على استقبال المهاجرين وما يترتب على ذلك من تبعات .

**طلائع المهاجرين :**

لما بايعت طلائع الخير ومواكب النور من أهل يثرب النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، والدفاع عنه، ثارت ثائرة المشركين ، فازدادوا إيذاء للمسلمين ، فأذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، وكان المقصود من الهجرة إلى المدينة إقامة الدولة الإسلامية التي تحمل الدعوة ، وتجاهد في سبيلها ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وكان التوجه إلى المدينة من الله تعالى ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه ، وقد جعل الله له منعة ، وقوماً أهل حرب وعدة ، ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج ، فيضيقوا على أصحابه وتعبثوا بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة ، فقال: «قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان ، ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي» ، ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال: «قد أخبرت بدار هجرتكم ، وهي يثرب، فمن أراد الخروج فيخرج إليها» .

فجعل القوم يتجهون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك ، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، فهي أول ظعينة قدمت المدينة، ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالاً ، فنزلوا على الأنصار، في دورهم فآووهم ونصروهم وآسوهم ، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء ، قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون في هجرتهم إلى المدينة ، كَلِبَت قريش عليهم ، وحربوا واغتاظوا على من خرج من فتيانهم ، وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة ، فهم مهاجرون أنصاريون ، وهم ذكوان بن عبد قيس ، وعقبة بن وهب بن كلدة والعباس بن عبادة بن نضلة ، وزياد بن لبيد ، وخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة فلم يبقَ بمكة فيهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعلي ، أو مفتون أو مريض أو ضعيف عن الخروج .

وهكذا انتقلت الجماعة المسلمة المنظمة القوية إلى المدينة ، والتحمت مع إخوانها الأنصار، وتشكل المجتمع المسلم الذي أصبح ينتظر قائده الأعلى عليه الصلاة والسلام ، ليعلن ولادة دولة الإسلام ، التي صنعت فيما بعد حضارة لم يعرف التاريخ مثلها حتى يومنا هذا .

**لماذا اختيرت المدينة كعاصمة للدولة الإسلامية ؟**

كان من حكمة الله تعالى في اختيار المدينة داراً للهجرة ومركزاً للدعوة - هذا عدا ما أراده الله من إكرام أهلها وأسرار لا يعلمها إلا الله - إنها امتازت بتحصن طبيعي حربي ، لا تزاحمها في ذلك مدينة قريبة في الجزيرة، فكانت حرة الوبرة مطبقة على المدينة من الناحية الغربية وحرة واقم ، مطبقة على المدينة من الناحية الشرقية ، وكانت المنطقة الشمالية من المدينة هي الناحية الوحيدة المكشوفة (وهي التي حصنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سنة خمس في غزوة الأحزاب) ، وكانت الجهة الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل الزروع الكثيفة لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة لا يتفق فيها النظام العسكري ، وترتيب الصفوف .

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هذه الحكمة الإلهية في اختيار المدينة بقوله لأصحابه قبل الهجرة: «إني رأيت دار هجرتكم ، ذات نخيل بين لابتين وهما الحرتان» ، فهاجر من هاجر قِبَل المدينة .

وكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة وشكيمة ، ألفوا الحرية ، ولم يخضعوا لأحد ، ولم يدفعوا إلى قبيلة أو حكومة إتاوة أو جباية ، يقول ابن خلدون: ولم يزل هذان الحيان قد غلبوا على يثرب ، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ، ويدخل في ملتهم من جاورهم من قبائل مضر.

وكان بنو عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم ، فأم عبد المطلب بن هاشم إحدى نسائهم، فقد تزوج هاشم بسلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وولدت لهاشم عبد المطلب ، وتركه هاشم عندها ، حتى صار غلاماً دون المراهقة ، ثم احتمله عمه المطلب، فجاء به إلى مكة ، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره في المدينة .

وكان الأوس والخزرج من قحطان، والمهاجرون ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان ، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقام الأنصار بنصره، اجتمعت بذلك عدنان وقحطان تحت لواء الإسلام ، وكانوا كجسدٍ واحدِ ، وكانت بينهما مفاضلة ومسابقة في الجاهلية ، وبذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم لإثارة الفتنة والتعزي بعزاء الجاهلية ، باسم الحمية القحطانية أو العدنانية ، فكانت لكل ذلك مدينة يثرب أصلح مكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتخاذهم لها داراً وقراراً ، حتى يقوى الإسلام ويشق طريقه إلى الأمام ، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتمدن .

**هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه :**

**فشل خطة المشركين لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم :**

بعد أن منيت قريش بالفشل في منع الصحابة -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة ، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقبيحة ، فقد أدركت قريش خطورة الموقف ، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية ، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب ؛ لذلك اجتمعت قيادة قريش في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على قائد الدعوة ، وقد تحدث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال:30] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثائق ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم: بل اقتلوه ، وقال بعضهم: أن أخرجوه ، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات عليٌّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليّاً رد الله كيدهم ، فقالوا أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري ، فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت ، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن ينسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثاً .

لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت ، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه ، أو ليخرجوه من مكة منفيّاً مطروداً ، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله ، على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعاً ، ليتفرق دمه في القبائل ، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها ، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

**الترتيب النبوي للهجرة :**

عن عائشة أم المؤمنين قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت: فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرج عني من عندك» فقال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ، فداك أبي وأمي! فقال: «إنه قد أذن لي في الخروج والهجرة» قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، ثم قال: يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاها لميعادهما .

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهم سفرة في جراب ، فقطمت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين ، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ، شاب ، ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرا يَكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولي أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليها حين تذهب ساعة من العشاء فيبتان في رِسَل- وهو لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا- والخريت الماهر- بالهداية قد غمس حلفاً في آل العاص ابن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر به فهيرة ، والدليل فأخذ بهم طريق السواحل» .

**خروج الرسول صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى الغار:**

لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف ، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته وكان الميعاد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر - رضي الله عنه - فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش ، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة ، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاهما عبد الله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال .

**رِقة النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة :**

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه بالحزورة في سوق مكة ، وقال: «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» ، ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بطش المشركين ، وصرفهم عنهما ، روى الإمام أحمد عن ابن عباس: (أن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا الجبل جبل ثور اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسيج العنكبوت على بابه) .

**عناية الله سبحانه وتعالى ورعايته لرسوله صلى الله عليه وسلم :**

بالرغم من كل الأسباب التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يرتكن إليها مطلقاً وإنما كان كامل الثقة في الله ، عظيم الرجاء في نصره وتأييده ، دائم الدعاء بالصيغة التي علمه الله إياها ، قال تعالى: (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) [الإسراء: 80] .

وفي هذه الآية الكريمة دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به ، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وكيف تتجه إليه؟ دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج ، كناية عن صدق الرحلة كلها ، بدئها وختامها ، أولها وآخرها وما بين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمته ، بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزله الله عليه ليفتري على الله غيره ، وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات والاطمئنان والنظافة والإخلاص (وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) قوة وهيبة أستعلي بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين ، وكلمة (مِن لَّدُنْكَ) تصور القرب والاتصال بالله ، والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه .

وعندما أحاط المشركون بالغار، وأصبح منهم رأي العين طمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق بمعية الله لهما ، فعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ » ، وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 40] .

**استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم:**

لما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفَى رجل من يهود على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم (الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين ، من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار، ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك «فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأُسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته» .

وبعد أن أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم المدة التي مكثها بقباء ، وأراد أن يدخل المدينة «بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، فسلموا عليهما ، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح» .

وعند وصوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أخذ أهل المدينة يقولون: «جاء نبي الله ، جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله ، جاء نبي الله» ، فكان يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يوماً مثله ، ولبس الناس أحسن ملابسهم كأنهم في يوم عيد ، ولقد كان حقّاً يوم عيد ؛ لأنه اليوم الذي انتقل فيه الإسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة إلى رحابة الانطلاق والانتشار بهذه البقعة المباركة المدينة ، ومنها إلى سائر بقائع الأرض ، لقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي حباهم الله به ، وبالشرف الذي اختصهم به أيضاً ، فقد صارت بلدتهم موطناً لإيواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين ، ثم لنصرة الإسلام كما أصبحت موطناً للنظام الإسلامي العام التفصيلي بكل مقوماته ، ولذلك خرج أهل المدينة يهللون في فرح وابتهاج ، ويقولون: يا رسول الله ، يا محمد ، يا رسول الله .

روى الإمام مسلم بسنده قال: «عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، صعد الرجال والنساء فوق البيوت ، وتفرق العلماء والخدم في الطرق ينادون: «يا محمدُ ، يا رسول الله ، يا محمد ، يا رسول الله» .

سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل في دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - فعن أنس - رضي الله عنه - في حديث الهجرة الطويل وفيه: «فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فإنه ليحدث أهله ، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها ، فجاء وهي مع فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «أي بيوت أهلنا أقرب» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي ، قال: «فانطلق فهيئ لنا مقيلاً ... » ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه .

وبهذا قد تمت هجرته صلى الله عليه وسلم وهجرة أصحابه رضي الله عنهم ، ولم تنته الهجرة بأهدافها وغاياتها ، بل بدأت بعد وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم سالماً إلى المدينة ، وبدأ معها رحلة المتاعب والمصاعب والتحديات ، فتغلب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول للمستقبل الباهر للأمة ، والدولة الإسلامية ، التي استطاعت أن تصنع حضارة إنسانية رائعة ، على أسس من الإيمان والتقوى، والإحسان والعدل ، بعد أن تغلبت على أقوى دولتين كانتا تحكمان في العالم ، وهما: دولة الفرس ودولة الروم .

تعد الهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية ، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين ، كان المسلمون قبل الهجرة أمة دعوة ، يبلغون دعوة الله للناس ، دون أن يكون لهم كيان سياسي ، يحمي الدعاة أو يدفع عنهم الأذى من أعدائهم .

وبعد الهجرة تكونت دولة الدعوة ، هذه الدولة التي أخذت على عاتقها نشر الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ترسل الدعاة إلى الأمصار وتتكفل بالدفاع عنهم وحمايتهم من أي اعتداء قد يقع عليهم ولو أدى ذلك إلى قيام حرب أو حروب ، وبجانب هذا ، فإن الهجرة النبوية لها مكانتها في فهم القرآن وعلومه حيث فرق العلماء بين المكي والمدني ، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة ، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة .